تصحيح عقائد المسلمين وأعمالهم (٧)

الأصول العلمية للدعوة السلفية

عبد الرحمن عبد الخالق



الطبعة الأولى

غرة رمضان المبارك ١٣٩٥

الناشر

الدار السلفية للطباعة والنشر

ص . ب ٢٠٨٥٧ هاتف : ٤١٧٨٦٤

برقياً : ابن حجر

الكويت

الطبعة الثانية : ١٣٩٨ هـ

قام بوضع حواشي هذه الطبعة الأخ علي شامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد :

فقد تساءل كثير من محبي الخير عن الدعوة السلفية وأهدافها ومنهاجها في نشر الاسلام وموقفها مما هو موجود الآن من آراء ودعوات ، فوفق الله أن قمنا باصدار رسالة صغيرة بينا فيها منهاجنا والاصول العلمية للدعوة السلفية ، وقد وزعت بتوفيق الله بالمجان ، ورأى بعض اخواننا من طلبة العلم أن يوضع لها شرح يبينها ويوضح أدلتها وأن يكون شرحاً موجزاً ، فقام الأخ الكريم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق بوضع هذا الشرح لها ، فجزاه الله خيراً.

والدار السلفية اذ تقدم هذه الرسالة ضمن سلسلة تصحيح عقائد المسلمين وأعمالهم ، يسرها أن تنبه إلى أن سلسلة أخرى توزعها وهي رسائل الدعوة السلفية وقد صدر منها :

١ — القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة ـ عبدالرحمن عبد الخالق.

٢ — قيام رمضان ـ محمد ناصر الدين الالباني.

٣ — الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ـ محمد ناصرالدين الالباني.

٤ — منزلة السنة في الاسلام ـ محمد ناصر الدين الالباني.

٥ ـ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ـ محمد ناصر الدين الالباني.

٦ ـ وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة وخطر التقليد ـ علي الخشان.

ويصدر قريباً إن شاء الله التوسل بدعه وأنواعه.

وإننا إذ نقدم هذه الرسائل لنعلم أنها لا تفي بحاجة المسلم الذي يطلب التوسع في الادلة ولكنها مفاتيح لكنوز الخير ومشوقات لدعوة الحق.

فنرجو ممن يرغب في التعرف على دينه الحق، المعرفة التامة الحرص على قراءة الكتاب السلفي المنهاج، الذي يحرص على الدليل وتستطيع التعرف على هذه الكتب بزيارة مكتبتنا.

ونحذر طالب العلم الناشيء أن يضيع أوقاتاً في دراسة كتب خلت من الدليل وجمدت على اسلوب الانشاء والتقليد، فإنها لا تغذي عقل اللبيب الناهض، وقد ابتلي المسلمون بهذه الكتب

وراج سوقها وهي كتب جهل لا علم. فالعلم : «قال الله سبحانه، قال رسوله ﷺ»، ووقتك أخي المسلم قيم فلا تضيعه بمثل هذا وتجعله حاجزاً بينك وبين مصدر العلم الحق وفي هذا ذكرى.

الكويت في ربيع الثاني ١٣٩٥ هـ

الناشر



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (١).

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فقد ابتلي المسلمون خلال تاريخهم الطويل بفتن عظيمة، ونسب إلى هذا الدين كثير من البدع والضلالات، وألقي على الكتاب الكريم كثير من التحريفات والشبهات، وتعرضت سنة الرسول ﷺ للانتحال والوضع تارة، والرد والابطال تارات. وكانت الواحدة من هذه المظائم كافية لطمس معالم الدين،

---

(١) انظر رسالة «خطبة الحاجة» للشيخ محمد ناصر الدين الالباني طبع «المكتب الاسلامي» لتعرف قيمة هذه الخطبة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه للبدء فيها بكل شؤونهم الهامة.

وتضييع أصوله ، وتشويهه واتلافه ، لولا ان الله سبحانه وتعالى شاء حفظه وأراد ، ورد كيد أعدائه وجعل سعيهم في تحريفه الى ضلال ، وهيأ في كل عصر من عصور الاسلام من ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، ولولا ذلك لانطمست طريق هذا الدين كما انطمست اليهودية والنصرانية .

ولقد كانت هذه الحركات التصحيحية التجديدية لهذا الدين هي الحركة السلفية التي حافظت على أصول هذا الدين نقية خالصة . ونفت عنه كل بدعة وردت عنه كل ضلالة ، وصححت كل تأويل وتحريف .

فالصحابة العدول رضي الله عنهم نقلوا الأمانة كاملة ، وبلغوها غير منقوصة ووقفوا بالمرصاد لكل تأويل باطل ، وكل انتحال وتحريف ، وحمل الراية من بعدهم علماء التابعين ومن وراءهم وفي عهدهم انسعت دائرة الأمة الاسلامية وكثر الداخلون من الفرس والروم والشعوب الاخرى ، وأراد بعضهم أن يدخل في الدين ما ليس منه بقصد أو بغير قصد . فقام هؤلاء العلماء الأجلاء حراساً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحفظ لنا التاريخ جهادهم في هذا السبيل ، حرباً للمبطلين ورداً للزيف عن هذا الدين ، ووقوفاً في وجه انحراف الحكم والسياسة ، ونشراً للدين النقي الخالص في كل الربوع ، حتى سلموا الراية لمن بعدهم في العلم والايمان كاملة ، عزيزة الجانب ظاهرة عالية .

وما يزال هذا الدين يخوض المعركة برجاله المخلصين وأبنائه البررة الميامين الذين أخلصوا دينهم لله ، فـآمنوا بكتاب الله كما أنزل ، وبسنة رسوله ﷺ كما جاءت وتمسكوا بهما ، وعضوا عليهما بالنواجذ ، وحاربوا كل أفاك أثيم يروم حمى هذا الدين تحويلاً له ، وتحريفاً أو زيادة له ونقصاً وتمزيقاً له وتقطيعاً .

وفي عصرنا الراهن زادت الهجمة على هذا الدين ، وتميزت قلوب الكافرين عليه من الغيظ أنْ دامت سيادته كل هـذه القرون واستمر عزه كل تلك السنين . ورأوا من أبناء الاسلام غفلة عن كتاب ربهم وسنة رسوله اللذيْنِ كان بهما العز والنصر والغلب ، فأمكنوا السيوف من رقابهم وأعملوا الفساد في هـذا الدين برجال أعدوهم لهـذا ، ودربوهم عليه من أبنائهم أولاً ، ونشؤوا من أبناء المسلمين تلامذة لهم يقولون كما يقولون ويعتقدون مثل ما يعتقدون ، فحارب الاسلام ابناؤه ، وطمن الكتابَ والسنةَ وراثُهما .

وليس لهذه الفتن الماحقـة إلا رجال ينشئون على الطراز الأول والمنهاج الآنف الذي كان بـه العز والسيادة والنصر والتمكين . ورحم الله مالكاً اذ يقول : « لا يصلح آخر هـذه الامة إلا بما صلح به أولها » . رجال يعلمون الكتاب كما أنزل ، والسنة كما بلغت حسب الاصول والقواعـد التي وضعها علماء السلف جيلاً بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، ويقفون بعد ذلك

في وجه هذا الباطل الزائف الذي ملأ الأرض شراً أو كاد، والله غالب على أمره. وقد شاء أن تظل طائفة من هـذه الأمـة على الحق منصورة ظاهرة إلى قيام الساعة ، وهـذه الرسالة الموجزة المختصرة بيان واضح للاصول التي ابتنى عليها مذهب علماء السلف في فهمهم للكتاب والسنة والعمل بهما أردنا بها توضيح الطريق لسالكها حتى لا تختلط الدروب ويعمى على الناس الطريق المستقيم من الطرق المعوجة الهالكة، والله أسأل أن ينفع بهذا البيان ما بقيت الدنيا انه سميع مجيب، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الكويت ـ ربيع الثاني ١٣٩٥

عبدالرحمن عبدالخالق



الأصول العلمية للدعوة السلفية

أولاً : التوحيد

الأصل الأول من أصول الدعوة السلفية هو التوحيد .

ولا يعني هذا الأصل ما يؤمن به وما يفهمه كثير من الناس من معنى التوحيـد وهو انه لا خالق الا الله ، بل يفهم السلفي ويعلم من معاني التوحيد اصولاً عظيمة ، وقضايا كبيرة . الاخلال بقضية منها اشراك بالله تعالى أو الحاد في أسمائه ، وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الاصول والقضايا فيقع في الشرك ويظن نفسه مؤمناً موحداً . والحال انه اما أن يكون ملحـداً في صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر ، أو مشركاً عابـــداً لغير الله سبحانه وتعالى ، وأصول التوحيد في المعتقد السلفي كما يلي :

أولاً : الايمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل .

فالله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه في آيات كثيرة جداً ووصفه رسوله ﷺ في أحاديث كثيرة جداً مدونة في كتب السنة كالبخاري ومسلم ومسند الامام أحمد وغـير ذلك مما هو صحيح ثابت حسب قواعـد أهل مصطلح الحـديث . وما أخبرنا الله بذلك عن نفسه الا لنصدق ونؤمن . بل الايمـان

بصفات الله سبحانه هو أكبر قضية من قضايا العبادة والايمان كما جاء في الحديث ان قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وليس فيها إلا صفة الله سبحانه وتعالى ، والمحرفون المؤولون عمدوا إلى هذه الآيات فحجبوا نورها عن المسلمين ، فإما أن يقولوا : هي آيات متشابهة لا نخوض في معناها ونؤمن بها كما جاءت ، يعنون انه لا يجوز للمؤمن ان يفهم من معناها شيئاً فيكون عنده ذلك « وجاء ربك والملك صفاً صفا » كقوله تعالى « ألم، كهيعص » فكما اننا لا نفهم معنى محدداً من هذه الحروف المقطعة فآيات الصفات عندهم كذلك وبذاك حجبوا نور هذه الآيات ان ينفذ الى قلوب المؤمنين . وأن يستشعر المسلم عظمة الله كما يليق بجلاله وعلو شأنه وذاته ، وبذلك فرغوا التوحيد من أعظم قضاياه وهو الايمان بصفات الله جل وعلا . وهل الايمان إلا امتلاء القلب بنور صفات الله وإشراقه بمعرفة إلهه ومولاه . ومع ذلك فقد زعموا وخاب زعمهم ان هذا الايمان الابله هو معتقد السلف وحاشاهم بل هم آمنوا بآيات الصفات وفق معناها الذي نزلت به باللغة العربية مؤمنين ان الله جلت قدرته وعظمته لا يقدر قدره على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى .

وإما أن هؤلاء المؤولين يعمدون إلى آيات الصفات فيحرفونها زاعمين انه تأويل . فيؤولون مجيء الله يوم القيامة بمجيء أمره ، واستوائه على عرشه ، باستيلائه عليه . . ويده بقدرته ووجهه

سبحانه وتعالى بذاته ، ولا يؤمنون بذات فوق العرش وانما يقولون ليس ثم عرش وانما العرش الملك ، وليس لله مكان فليس هو في مكان ما ، بل إما أن يقولوا لا مكان له في شيء من العالم بل ولا خارجه ، ولذلك لا يجوز عندهم أن يقول مؤمن : ربي في السماء ، فإنهم يبدعونه وقد يكفرونه ويأتون الى الأحاديث التي تذكر فيها صفة الله كينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة فيسبون من يصدق ذلك بأقبح السباب ويقولون بل تنزل رحمته ، وأما هو سبحانه وتعالى فلا ينزل ولا يصعد لأنه ليس فوق العرش شيء ، بل ما ثم هناك عرش ، وينفون عن الله سبحانه وتعالى كلامه ويزعمون أن الله إذا أراد ان يكلم أحداً خلق فيه الفهم لمراده فيكون كلام الله عندهم كالنفث في الروع ، وبذلك يكذبون أحاديث البخاري التي جاء فيها ان الله يتكلم يوم القيامة بصوت يسمعه من قرب كمن بعد قائلاً : « أنا الملك أين ملوك الأرض » (١)

« وقد فصلنا هذه الأقوال والردود عليها بحمد الله في محاضرات التوحيد » (٢) .

والمهم هنا الاشارة إلى هؤلاء الطوائف من المسلمين الذين زعموا الهداية لأنفسهم وهذا كذبهم على الله وافتراؤهم عليه ، فإذا كان الله قد أنكر أشد الانكار على من قال ان الله حرم هذا

---

(١) رواه البخاري .

(٢) تطلب هذه المحاضرات من الدار السلفية حيث سجلت على أشرطة كاسيت.

ولم يحرمه الله ، فكيف بمن وصف الله حسب هواه فعمد إلى آياته فحرفها وأحاديث رسوله فحجب نورها ، وضلل المصدق المؤمن بها ؟؟

وخلاصة هذا الامر الأول أن السلفي يؤمن بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى كما جاءت في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ سواء كانت أخباراً متواترة أو اخبار آحاد صحيحة ، فخبر الآحاد الصحيح يوجب العلم والعمل (١) لأنهما سواء فلا علم دون عمل ، ولا عمل دون علم بل لا يجوز لمسلم أن يعمل عملاً ما من أعمال الدين إلا إذا ثبت عنده صدق الخبر به عن الله أو عن رسوله ﷺ .

وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله وما هم كذلك ، وقد حرفوا صفات الله ، ومنعوا الناس عن الايمان بها والتصديق بمعانيها او بدلوا لهم معانيها وأمروهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر .

ثانياً : افراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة وعندما نقول افراده بالعبادة فلا نعني الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط ، بل نعني كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من معانيها وعلى رأس ذلك الدعاء ، فالدعاء هو العبادة فلا دعاء لغير الله كائناً من كان رسولاً أو ولياً حقاً أو ولياً مزعوماً . ويأتي بعد الدعاء السجود ، وأنواع من الحب والتعظيم والخشية والخوف ، وكذلك الذبح والنذر

---

(١) راجع رسالة وجوب الاخذ بحديث الآحاد في العقيدة . لناصر الدين الالباني ، تطلب من المكتبة السلفية .

والرغبة . وكل هذه الامور من حق الله سبحانه وتعالى وقد صرفها كلها أو بعضها كثير من الناس لغير الله . ويكفيك زيارة واحدة لقبر من القبور المشيدة حتى تشاهد كل ذلك، الطلب الصريح من صاحب القبر بكل ما لا يجوز أن يطلب إلا من الله كشفاء المرضى والانتصار من الاعداء ، والشفاعة عند الله ، والمدد ، واعطاء الأولاد وخير الدنيا، وبالجملة فإنه يطلب من هؤلاء الاموات خيري الدنيا والآخرة وهذا شرك أكبر مخرج من ملة الاسلام ويفعل هذا طوائف كثيرة ينسبون إلى الاسلام ، ولا يكتفون بالدعاء بل ويذبحون لهؤلاء تقرباً كما كانت الجاهلية تفعل عند طواغيتها ، وينذرون لهم ، بل ويطوفون بالقبور كما يطاف بالكعبة ويسجدون عندها كما يسجد لله وليس هناك شرك أكبر من هذا.

وهذه الامور لا يصنعها عوام الناس وجهلاؤهم فقط بل ويصنعها كثيرون ممن يزعمون العلم الشرعي ويحملون فيه شهادات عريضة ، وكذلك من يزعمون التقوى والصلاح من أهل الطرق الصوفية والمناهج العبادية المبتدعة ولا تجد دينهم ينبني إلا على تعظيم هذه القبور وبنائها واسراجها ودعوة الناس الى الذبح لها والنذر لها ودعائها من دون الله عز وجل بل والطواف بها ، وقد أصبح الله عند هؤلاء نسياً منسيا . لا يدعى ولا يرجى إلا بواسطة هذه القبور والاضرحة ويظنون بعد ذلك انهم مسلمون وما هم بمسلمين وقد شابهوا المشركين الذين عبدوا غير الله وقالوا « ما نعبدهم

إلا ليقربونا الى الله زلفى » . « سورة الزمر ٣ » .

والدعوة السلفية تجعل نصب عينيها تطهير معتقد الناس من هذا الشرك الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إلا مشرك ولا يكابر فيه أو يدافع عنه الا مطموس القلب بعيد عن نور التوحيد والايمان .

ثالثاً : الايمان بأن لله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه حق التشريع للبشر في شئون دنياهم كما قال جل وعلا « والله يحكم لا معقب لحكمه » وكما قال سبحانه « ان الحكم الا لله » . فالتشريع حق للرب جل وعلا فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله والدين والمنهج والطريق والصبغة هو ما شرعه الرب جل وعلا . واعتداء سلاطين الارض وملوكها ورؤساؤها على شرعة الله بتحليل ما حرم ، وتحريم ما أحل عدوان على التوحيد وشرك بالله ومنازعة له في حقه وسلطانه جل وعلا ، وأكثر سلاطين الارض اليوم وزعمائها قد تجرؤوا على هذا الحق ، وتجرؤوا على الخالق الملك سبحانه وتعالى وأحلوا ما حرم ، وحرموا ما أحل ، وشرعوا للناس بغير شرعه زاعمين تارة ان تشريعه لا يوافق العصر والزمن ، وتارة انه لا يحقق العدل والمساواة والحرية ، واخرى بأنه لا يحقق العزة والسيادة . والشهادة لهؤلاء الظالمين بالايمان عدوان على الايمان وكفر بالله سبحانه وتعالى ونأسف ان قلنا ان سواداً كبيراً من الناس قد أطاعوا كبراءهم فيما شرعوا لهم

من شرع مخالف لشرعه سبحانه وتعالى ، وكثير من هذا السواد يصلي ويصوم - مع ذلك - ويزعم انه من المسلمين .

والدعوة السلفية جهاد بكل معاني الجهاد لرد الحق الى نصابه وجعل الدين لله وحده ، وتخليص الامة من هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي استشرى فيها ، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ولا تكون كذلك في واقع الناس إلا إذا كان الحكم لله وحده ، والتشريع لله وحده ، وفق ما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ووفق ما يجتهد فيه أئمة العصر من المسلمين ليتوصلوا باجتهادهم إلى ما يرضي ربهم ويوافق شرعته ، وتخليص الامة من هذا الشرك بالبيان والدعوة والجهاد واجب لأن هذه القضية احدى قضايا المعتقد السلفي .

رابعاً : نؤمن في المنهج السلفي أن قضايا التوحيد الثلاثة السالفة قضايا لا تتجزأ ولا تقبل المساومة لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة وفي معنى لا إله الا الله . فمن آمن بإله واحد يجب أن يعتقد انه هو الموصوف سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وانه يجب الايمان به وفق هذه الصفات ، وكذلك يجب دعاءه سبحانه وتعالى وحده وافراده بسائر اصناف العبادة من ذبح ونذر وخوف وخشية وانابة وتوكل وحلف وتعظيم وتطهير القلب مما يخدش هذا التوحيد أو يلغيه ، وكذلك يجب الايمان والعمل لتكون كلمته وشرعه هو الاعلى وهو الحكم في حياة الناس جميعها فلا دين إلا

ما شرع ، ولا طاعة الا لله أو ما يقتضي أن تكون طاعة لله . أعني لا طاعة لمخلوق إلا بما يوافق طاعته سبحانه فان خالف طاعته فلا طاعة .

والمنهج السلفي يأخذ هذه القضايا جملة ويطهر قلوب أتباعه من الشرك فيها جميعاً ، لأننا نعتقد أن من مات وهو يدعو غير الله لم يكن من أهل الجنة . ونعتقد أيضاً أن بعض التحريف لمعاني الصفات والأسماء شرك بالله وكفر به ، وان كان بعضه لا يبلغ ذلك . ونعتقد كذلك ان من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر[1]، ومن اعتقد أن لأحد من البشر ان يشرع للناس في شئون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالتزام به والسير بمقتضاه، فقد عبد غير الله وأشرك به شركاً جلياً . كما قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

هذه القضايا الثلاث السالفة هي الأركان التي يقوم عليها الأصل الأول من الأصول العلمية للدعوة السلفية . إنها قضايا التوحيد الثلاثة التي اذا اختل شرط منها اختل أصل التوحيد . وهذا الأصل هو بمثابة المدخل للمعتقد السلفي ، لأن التوحيد هو

---

(١) الذي يحكم ويتحاكم الى غير شريعة الله عز وجل جحوداً لها وكفراً بها ، فهو كافر وخارج عن الملة . ومن فعل ذلك فسوقاً وعصياناً فكفر دون كفر .

أم قضايا الدين بل رأسه ، وبدونه لا يكون المسلم موحداً ، وتحت القضايا السالفة توجد كثير من الفرعيات والتفصيلات قد بينا بعضها في مواضع أخرى ، وقد فصلها علماء السلف عبر القرون في كتبهم. والسائر في المنهـج السلفي يجعل نصب عينه دائماً تملم هذه الفرعيات تكميلاً لتوحيده ، وتثبيتاً لايمانه .

وبهذا الأصل يفترق المنهـج السلفي عن كثير من منـاهج الاصلاح المنسوبة للاسلام التي لا تدخل هذه القضايا في حسبانها ولذلك نجد أن كثيراً منهم يفنون أعمارهم في قضايا فرعية عملية ، وفي خلافات جزئية . وينسون أصل الدين الأصيل وهو التوحيـد الخالص الذي ما جاء الشرع إلا لأجله ، وأمثال هؤلاء لا يعنون من الشرك إلا عبادة المسيـح والأصنام ، وأما تلك الصور التي عرضناها عليك آنفاً فانهم لا ينكرونها بل يباركونها ويوافقون أصحابها وان حصل لها عند البعض انكار فانما هو كانكار بدعـة يسيرة لا تضر عندهم بالدين . والحال انها أصل من اصول التوحيد وتفويتها قدح في العقيدة والاسلام .



ثانياً : الاتباع

بعد أن يعلم السائر في المنهج السلفي توحيد الله سبحانه وتعالى حسب أركانه السالفـــة فانه يتوجب عليه افراد الرسول ﷺ بالاتباع. وذلك تحقيقاً لقوله « اشهد أن محمداً رسول الله ». وهذه الشهادة لا تكون كاملة إلا بالامور الآتية : ـ

١ ـ أن يعلم أن محمداً رسول الله ﷺ مبلغ عن ربه جل وعلا، وانه قد جاء بوحيين : الأول كتاب الله ، القرآن.

الثاني سنته ﷺ وذلك لقوله ﷺ : ـ

« ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه (١) » فكلام رسول الله ﷺ وكلام الله سواء في الاعتقاد والعمل والقبول، لأن هذا وهذا من الله سبحانه وتعالى. والرسول لا يأمر ولا ينهي ولا يحرم ولا يحل في أمور الدين بشيء من عند نفسه بل بأمر الله سبحانه وتعالى، ولا يخبر بشيء من الغيب إلا بوحي منه جل وعلا كما قال سبحانه وتعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ».

وإذا كان أمر السنة كذلك فانه يشملها جميع أحكام التكليف من « واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح ». ويكون مر رد

(١) رواه أبو داود وغيره بسند صحيح.

الثابت الصحيح منها كمن رد القرآن .

٢ ـ الدين هو المنهج والطريق والحكم والصبغة العامة وليس هو التقرب فقط كالمفهوم الشائع بين الناس اليوم . ومعنى هذا ان الرسول ﷺ هو المشرع بأمر الله لجميع شئون الحياة التي له فيها أمر ونهي وحكم ، وليس للطاعات والقربات فقط . فمصية أحاديث الرسول ﷺ في شئون البيع والتجارة والزواج والطلاق والحكم والسياسة ، والحدود ، كمصيته في شئون العبادة كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها .

٣ ـ الأمرين السابقين تصبح منزلة الرسول ﷺ في الطاعة المطلقة لا تدانيها منزلة لأحد من البشر . ولذلك فلا يقبل قول أحد سواء كان إماماً فقيهاً أو زعيماً سياسياً ، أو مفكراً أو مصلحاً يخالف قولاً للرسول ﷺ ، ومن قدم قولاً لأحد على قول الرسول ﷺ فقد أساء وتعدى وظلم وخالف اجماع الامة وكتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ .

٤ ـ لا تكمل هذه المتابعة للرسول ﷺ إلا بكمال الحب له ، كما قال ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين »[1] . ومما يعين على هذا الحب ، التزام أمره دائماً ، والمسارعة في طاعته ، وتقديم قوله على كل قول ، وتذكر موافقه ومشاهده ، ومدارسة سنته وسيرته

(١) متفق عليه .

صلوات الله وسلامه عليه .

ومما يؤسف له في أوساط المسلمين اليوم أنه قد ضعفت هذه المتابعة ، وخبا ذلك الحب للرسول ﷺ وذلك للأسباب الآتية : ـ

(١) ـ القول بجواز التقليد : ـ

وذلك بعد تدوين الفروع الفقهية لكل مذهب من المذاهب الفقهية والافتاء بالعمل بهذه الفروع الفقهية مطلقاً ، سواء كانت موافقة أو مخالفة للحديث الصحيح . بل والافتاء بأنها جميعاً صواب وان كانت مختلفة متناقضة .

وقد أدى هذا الى الركون الى كل قول ينسب الى الفقه ، والقعود عن طلب الدليل من القرآن والسنة ، وبذلك ضعف العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبالأحاديث الصحيحة . (١)

(٢) ـ الافتاء بغير علم ودليل : ـ

أ ـ بعد الافتاء بأن كل رأي فقهي في مذهب ما صواب. أفتى المفتون كل مستفت بما يناسبه من قول منسوب الى الفقه بل بحث بعضهم على ما سماه بالأيسر من كل مذهب في كل مسألة فأفتى به ، وناهيك بما في هذا من توهين العمل بالشريعة ، بل بزوالها إذ ما من مذهب إلا وله كثير من الأقوال المتساهلة جداً التي جاء

(١) والأمر خطير جداً أدى إلى تمزيق المسلمين الى فرق وأحزاب ، لذا ننصح بقراءة كتاب « التعصب المذهبي » للأخ محمد عيد عباسي .

القرآن والحديث بخلافها ، وليست هذه الرسالة مجالاً لبيان ذلك (١)، بل وتساهل البعض أكثر من هذا فأفتى بأي قول يصدر عن عالم ما . وقد علم القاصي والداني ما أفتى به كثير من العلماء المحدثين في شأن الربا ، والخمر ، وملابس النساء ، وحقوقهن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو جمعنا الفتاوى الباطلة في هذه وغيرها لخرجنا بأكثر من مجلد فيه ما يهدم الاسلام جملة وتفصيلاً .

ب - لم يقف الأمر بالفتاوى الباطلة وبأن كل قول صواب عند الافتاء في امور الشريعة بل تعدى ذلك الى العقائد والغيبات فوقعت ايضاً تحت الرأي والظن ، وبذلك نفى كثير من العلماء الأحاديث الصحيحة في امور كثيرة من امور العقائد ، وقالوا بالرأي والظن والاجتهاد في أمور العقيدة والغيب التي لا اجتهاد فيها ، وجاروا آراء العصر الصادرة عن غير المسلمين .

(٣) - توعير طريق دراسة القرآن والسنة : -

وذلك بالتخويف والتحذير الذي لا نفتأ نسمعه من كل ناعق ان دراسة القرآن والسنة والتلقي منهما ضلال ! ! (٢) وانه يجب أولاً عرض الآيات والاحاديث على أقوال الائمة والفقهاء . . وكأن الاصل قد أصبح اقوال الناس لا قول الله ورسوله ؟ !

(١) ارجع إن شئت إلى الكتب التالية « أعلام الموقعين لابن القيم - ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين لعبد الجليل عيسى ، بدعة التعصب المذهبي .

(٢) راجع كتاب « تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من اصول الضلال والكفران » للقاضي احمد ابن حجر آل بن علي .

وبهذا التخويف والتحذير وعَّر هؤلاء طريق الفهم السليم للكتاب والسنة وصدوا عن سبيل الله بعلم أو بغير علم وجعلوها معوجة للسالكين فيها. وقد خالفوا بذلك كتاب الله الذي يأمر باتباع الدليل مطلقاً، وبالبصيرة أبدا، وينهى عن التقليد[1] والسير على منهاج الآباء والأجداد دون دليل وبرهان. وخالفوا الرسول ﷺ الآمر بتبليغ حديثه كما نطق به ﷺ، حيث يقول: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[2]. وقوله: «بلغوا عني ولو آية».

(٤) ـ ايقاف العمل بالشريعة في كثير من نواحي الحياة :ـ

لا يشك مسلم يفهم الاسلام في الوقت الحاضر ان الشريعة الاسلامية قد أقصيت إلا قليلاً من مجالات حياة المسلمين وذلك في شئون كثيرة كالحكم والسياسة وكثير من المعاملات والحدود والتربية والاجتماع والآداب العامة. وكان لهذا أسباب كثيرة كغلبة الكفار على أرض الاسلام وغرس افكارهم وتقاليدهم وعاداتهم في بلاد الاسلام، وكان من ذلك ايضاً مما نحن بصدده: جمود حركة الاجتهاد الفقهي وذلك بالوقوف فقط عندما دونه أئمة الفقه في عصور قديمة استحدثت بعدها كثير من الاقضيات والحوادث في شتى شئون

---

(١) التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة كما صرح علماء الأصول، راجع (أعلام الموقعين لابن القيم) وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة) علي خشان.

(٢) رواه احمد وابو داود الترمزي بسند صحيح.

الحياة : السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وكان لا بد من حركة فقهية تحكم هذه الامور لتعطي المسلم الحركة الصحيحة باسلامه في المجتمع الذي يعيش فيه . ولكن هذا الجمود في الفقه وانفصال السلطة السياسية عن المنهج الاسلامي أدى الى شل حركة المسلمين وجعلهم حيارى بين ما يأخذون وما يدعون فيما جد من أمورهم ، وكانت الغلبة بالطبع للتيار القوي الذي تقوم عليه أجهزة الحكم وتوجهه أجهزة الاعلام المسخرة غالباً للسلطة السياسية ، وكان لهذا كله آثاره على انطماس طريق الاسلام وشريعته ، وغياب المعنى الحقيقي لشهادة المسلم : « أشهد ان محمداً رسول الله » .

والمنهج السلفي لفهم الاسلام والعمل به يضع نصب عينه تذليل هذه العقبات التي حالت بين الناس ومتابعة الرسول ﷺ وذلك بأن ينادي دائماً بالقول بتحريم التقليد (١) ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة ولا يعني هذا اننا نوجب على كل أحد أن يكون مجتهداً ، لا . إنما نريد من كل أحد بأن يكون متبعاً الدليل باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيّه وبذلك تتوحد صفوف الامة وينمو فيها معرفة الكتاب والسنة ، وتذكو فيها الروح العلمية والمسامحة الاخوية ، ولا يستطيع مضل أن يضلها بسهولة ، وذلك بأن يسند ما يريد من فتوى الى عالم من العلماء ، وبذلك يعظم عند المسلمين شأن الرسول ﷺ

(١) انظر التعليق رقم (١) صفحة (٢٣) من هذا الكتاب .

وتعظم شأن متابعته .

وكذلك نلجم الألسنة التي تفتي دائماً بغير دليل عندما تعلم ان الناس لا يقبلون قولاً إلا بدليل وحجة ، فاذا قال رأيه للناس قال هذا رأيي وهو يحتمل الصحة والخطأ ، وإذا قال للناس هذا حكم الشارع طالبه الناس بدليل هذا من قول الله وقول رسوله ﷺ

وبالأمرين السابقين وغيرهما يفتح للناس ميدان جديد لدراسة جادة للقرآن والسنة ، فتجدد حياة الامة ويشع نورها وتتضح معالم الطريق أمامها ، ولا يستطيع أي من الناس مهما كان دوره أن يضل الناس ـ إلا أن يشاء الله ـ وأن يقودهم خلفه كالسائمة .

وإذا أحيينا فقه الكتاب والسنة على هذا النحو استطعنا أن نوقف تيار العصر الالحادي عند حده عندما نوقف الناس أمام مسئولياتهم ، فنحن نقدم لهم قول الله وقول رسوله لا قول فلان ولا فلان فان أذعنوا فقد أسلموا ، وان جحدوا وأنكروا فقد كفروا وبذلك تتضح السبل ويحيا من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينة .



ثالثاً : التزكية

التزكية إحدى المهمات التي من أجلها بُعث الرسول ﷺ بل هي غاية الرسالات وثمرتها.

قال تعالى ممتناً ببعثة الرسول ﷺ : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتـــه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) . وقال أيضاً « لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (١٦٤ آل عمران) .

فالله امتن علينا في هاتين الآيتين ببعثة النبي ﷺ الذي من مهماته قراءة آيات الله، وهذه نعمة كبرى إذ نسمع كلام الله على لسان بشر منا . ثم انه يزكي هذه الامة بما يقرأ عليها، وبما يُوحى اليه، ثم هو يخرج هـذه الامة من ظلمات الجهالة وذلك بتعليم الكتاب والحكمة . والكتاب القرآن والحكمة العلم النـافع الذي يضع من الانسانية الامور في نصابهـا، ولذلك فالسنة من الحكمة والكتاب قد جاء بالحكمة ايضاً .

والسؤال الآن ما هي التزكية التي عرفنا آنفاً انها إحـدى وظائف النبي ﷺ ؟

التزكية للنفوس تطهيرها وتطبيبها ، وتنقيتها من قبائحهـا .

فالنفس الزكية هي الطيبة الطاهرة البعيدة عن كل ما يدنس النفوس من غش وحقد وحسد وظلم وسخيمة .

وهذا المعنى مأخوذ من قول العرب « زكا الزرع إذا نما وأينع » . والرائحة الزكية هي الطيبة .

قال تعالى مبيناً افتراق النفوس في الزكاة « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها»(١).

فالنفس الزكية هي الطيبة الطاهرة النقية وقد أقسم سبحانه وتعالى أن الفلاح منوط بتزكية النفس وتطهيرها وذلك في سورة الشمس بعد احدى عشر قسماً ، وليس في القرآن أقسام متوالية بهذه الكثرة على حقيقة واحدة الا في هذه السورة . قال تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها » (١) .

وبيَّن في آيات أخر انه لا يدخل الجنة إلا من اتصف بهذه الزكاة والطيبة والطهر كما قال تعالى « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (٢) .

والطيبة هنا هي سبب دخولهم الجنة وهي ثمرة العبادة وغايتها.

---

(١) سورة الشمس .
(٢) سورة الزمر : ٧٣

وهي تزكية النفس التي جاء الرسول من أجلها صلوات الله وسلامه عليه .

وبهذا البيان تصل الى حقيقتين : أولاهما : إن التزكية احدى مهمات النبي وغاية من غايات رسالته بل سنعلم انها غاية الرسالة والوجود الانساني كله والثانية : انها السبب في دخول الجنة بل هي الصفة الواجبة التي من لم يتصف بها لم يكن من أهل الجنة .

والآن يأتي سؤال آخر وهو : ما الوسائل التي شرعها الله سبحانه وتعالى وبينها رسوله للوصول إلى هذه الغاية ؟ وبمعنى آخر كيف تزكو النفس وتصبح طيبة ؟ وما الذي صنعه الرسول حتى يقوم بهذا الواجب ؟

وللاجابة على هذا السؤال يجب أن نستعرض شرائع الاسلام كلها ونستقرئها جميعاً سواء كانت عقائد أو عبادات أو معـاملات. وننظر ارتباط هذا بالتزكية والتطهير . وسنتبين بهذا الاستقراء انه ليس للتزكية أعمال خاصة من مجموع أعمال الدين وعقائـده ، بل جميع شرائع الاسلام وعقائده وآدابه ، انما هي أعمال غايتها ونهايتها التزكية والتطهير . ما دمنا عرفنا ان الزكاة هي الطيبة والطهر والبعد عن الدنس . فالتوحيد تزكية لأنه اعتراف واقرار بالاله الواحد الذي لا رب غيره وهذا الاعتراف والشهادة تزكية لأن الاعتراف بالحق فضيلة وجحده وانـكاره رذيلة وأي رذيلة . وليس هناك حق أكبر من الله ولا أجلى وأظهر منه عنـد كل ذي لب وعقل ، وانـكار

الله وجحده والشرك به أكبر الرذائل والتدسية ولذلك قال تعالى « انما المشركون نجس » وذلك لنجاسة قلوبهم ونفوسهم بما تلبسوا به من شرك وجحود ونكران لصفات الله سبحانه وتعالى وليست نجاستهم لما على أبدانهم من نجاستهم فقد يتطهر كثير منهم ظاهراً ولكن ما دام أحدهم متلبساً بالشرك والكفر فهو متلبس بالنجاسة المعنوية المدنسة للنفس والشعور .

والعبادات كلها مالية أو بدنية ما هي إلا عمليات تزكية لأنها تربط القلب بالخالق سبحانه وتعالى وتذكره به وبذلك تحصل التقوى للقلب ومن اتقى وخاف ربه ابتعد عن المحرمات ، والمحرمات قاذورات ، وفعل الخير طيبة واحسان وبر وعدل .

ولذلك كانت الصلاة على رأس هذه الأعمال لأنها من أنجع الوسائل للوصول الى هذه التزكية فتكررها في اليوم والليلة ، وذكر الله فيها ، وحركاتها تصل القلب حقيقة بالله ، قال تعالى « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وذلك لأنها تربي الواعظ ، وتورث التقوى .

ولذلك أفتى إمام أهل السنة احمد بن حنبل رحمه الله بأن الصلاة في الأرض المغصوبة باطلة وذلك من عظيم فقهه ، فقد رأى ان قيام المصلي وقعوده وذكره لربه في أرض اغتصبها يدل على كذبه وزوره وبهتانه ونجاسة قلبه . لأن هذا لو كان ذاكراً لله حقيقة لما أمسك هذه الأرض التي اغتصبها . بل لا نخلع عنها وردها الى اصحابها.

ولذلك أيضاً لما سئل رسول الله ﷺ عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها قال هي من أهل النار ، والحكمة في هذا ظاهرة إذ لو كانت هذه المرأة مصلية صائمة حقاً لامتنعت عما يدنس النفس أقبح تدنيس وهو ايذاء الجار .

ولذلك أيضاً قال ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه (١) » . وذلك ان الصائم الذي راقب الله بزعمه في تركه للطعام والشراب ولم يستطع أن يراقبه في قول الزور والعمل بالزور مبطل في ادعاء خوف الله وتقواه . مبطل لثمرة العبادة وغايتها وثمرة الصوم وغايته .

ولذلك لا يجوز لنا أن نفصل بين عبادات الاسلام وغايتها وثمرتها . فنظن أن اعمال القربات مقصودة لذواتها وبذلك نفرغ العبادة من ثمرتها وغايتها ، بل قرن الله سبحانه وتعالى دائماً بين العمل والثمرة كما قال عز وجل في الصوم « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٢) . وقال تعالى عن غاية العبادة « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٣) . وفهم من هذا ان غاية العبادة كلها التقوى وقد عبر الله هنا (بلعل) التي تفيد الترجي والله لا يرجو شيئاً لأنه ما شاء كان سبحانه وتعالى ، ولكن الرجاء هنا بالنظر للعابد لأنه ليس كل مؤد لهذه العبادة متقياً . بل المنافقون يؤدون الطاعات والعبادات ظاهراً وهم كافرون جاحدون . ونفهم من هذا أيضاً ان

(١) رواه البخاري . (٢) البقرة : ١٨٣ . (٣) البقرة : ٢١ .

من لم تحصل له هذه التقوى مع ادائه للعبادة كان غاشاً في عبادته مبطلاً فيها. فمن شأن العابد أن يكون تقياً خائفاً من ربه محسناً، وهذه هي التزكية والطيبة والطهر والعبادة قد وضعت لذلك. ولا يكون المرء طيباً طاهراً بغير العبادة، لأن الطاعة من التزكية فطاعة الله الذي له الفضل علينا والمنة والنعمة هي أبسط صور المعروف والاحسان والاعتراف ولذلك لا يتصور زكاة وطهر بغير طاعة أمر الله واجتناب نواهيه.

وقد تكرر معنى العبادة للتقوى في آيات كثيرة من القرآن كما قال تعالى «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون» وكقوله تعالى «وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ذلك وصاكم به لعلكم تتقون».

وبهذا نصل الى هذا المعنى الثالث من معاني التزكية وهي ان شرائع الاسلام كلها من توحيد وعبادة وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر الوالدين وصلة ارحام ونهي عن الفواحش والمنكرات ومعاملات تحقق العدل والاحسان ما كل ذلك إلا لتحقيق هذه التزكية وهذه الأوامر والنواهي، أما ان تكون هي بذاتها من اركان هذه التزكية ولوازمها وأما ان تكون مما يورث هذه التزكية ويدعو اليها.

ومما يدلك على هذا المعنى جلياً بحيث لا يترك لنفسك فيه شبهة ان تعلم ان الله وصف رسوله ﷺ بقوله «وانك لعلى خلق عظيم» ولقد كان هذا الخلق متمثلاً في العمل بكتاب الله الذي تضمن كل انواع التزكية كما جاء في صحيح البخاري ان سعد بن

هشام سأل السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت « كان خلقة القرآن) » .

ولذلك قال رسول الله ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق » وحصر الرسول رسالته في هذا يعطيك الدليل الكامل على انَّ رسالة الاسلام كلها رسالة التزكية والتطهير .

إذا علمنا ان الاسلام دين تزكية وتطهير وان الرسول ﷺ لم يبعث إلا لهذا فيجب علينا أن نعلم ايضاً انه ﷺ قد أتم هذه التزكية منهجاً وعملاً لأن الله أتم دينه ونعمته على رسوله والمؤمنين كما قال تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ومعنى هذا انه لا يجوز الاحداث فيها كما هو الشأن في جميع شؤون التقرب وذلك ان الاحداث ، في العبادة يؤدي إلى الفساد والانحلال فضلاً عن انه مرفوض غير مقبول عند الله سبحانه وتعالى .

وقد رأينا كيف انفتح هذا الباب على المسلمين فدخل منه شر مستطير وبلاء عظيم ، فمناهج اصلاح النفس والتربية التي اندرجت تحت اسم التصوف قد جمعت في طياتها بلاء لا حصر له ولا حد ، وامتد الفساد من حقل التربية والاخلاق والتعبد إلى وضع الحديث وافساد العقيدة وتحطيم الشرع الذي سموه بالظاهر وفتح الباب للخرافات والخزعبلات والترهات . ثم الشرك وعبادة غيره سبحانه وتعالى - ثم الفلسفات الهالكة كالقول بوحدة الوجود ،

والحلول وغير ذلك من عقائد الفرس والهنادك ثم اسقاط التكليف جملة والقول في القضاء والقدر بمراد الله مطلقاً حيث جعل المطيع والعاصي سواء بل فضل العاصي على الطائع . . . » وقد فصلنا هذا الفكر بحمد الله في كتابنا الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة»[1].

وفي مقابل هذا الفكر الصوفي قام الجمود الفقهي الذي جعل النصوص حرفيات مرادة لذاتها ، وظواهر لا معنى وراءها ، وخاصة بعد أن صبت أحكام الكتاب والسنة في قوالب من صنع البشر أشبه بقوالب التقنين ، وبعد أن بعد الناس عن المصدر الأصيل كتاب الله وسنة رسوله ، وتعاملوا مع هذه القوالب البشرية ولم يشعروا تجاهها بتلك الرهبة والتقديس كما يكون التعامل مع كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، ولذلك سهل عليهم التحايل على هذه القوالب ، فأحلت معاملات كثيرة ظاهرها المقصد الشرعي وباطنها الحرام ومن ذلك بيوع العينة ونكاح المحلل ، والربا في صور البيع ، والزنا بصورة الهبة دون ولي واشهاد ، ثم توسع الناس في اتباع الأقوال والآراء فأصبح كل قول في الدين حجة ما دام انه لشيخ ما أو لعالم ما ، وبذلك ضعف الوازع وانهدم ركن الأخلاق وفسدت مناهج التزكية التي ما جاء الاسلام إلا لأجلها .

والمنهج السلفي يقوم بين المنهجين السابقين : منهج التصوف ومنهج الظاهر الفقهي فيحل التزكية محلها من دين الله سبحانه

(١) تم طبع هذا الكتاب ويطلب من الناشر « الدار السلفية » .

وتعالى فيجعلها غاية للمسلم يسعى اليها ويتخذ لها الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فلا تزكية بغيرهما ولا تزكية دونهما أبداً. وبذلك يبطل في هذا المنهج جميع الاجتهادات المبتدعة والسلوكية التي ابتدعت في المنهج الصوفي من الانفراد في الخرائب والقبور، والعيش على طعام بعينه والعزلة مدة محددة، وترك النظافة والتطهر، وترك الكلام والجلوس في الشمس، وتعذيب النفس بشيء لم يأت به الشارع، وقراءة الاذكار المبتدعة، والرقص والغناء والسماع الشيطاني الذي أصبح من لوازم الطريق الصوفي، وكذلك يبطل المنهج السلفي هذا السعي الضال وراء ما يسمى بالفتوحات والكشوف التي ما هي إلا وساوس شيطانية وأفكار فلسفية الحادية كشفنا زيفها في كتابنا الآنف فارجع اليه لتقف على هذه الحقائق العجيبة.

ويبطل في المنهج السلفي هذه الظاهرة الجامدة التي تتعامل مع نص وتنسى أهدافه وغاياته، وهذا الفقه الأعوج الذي جعل كل قول في الدين حجة، وكل فتوى لا دليل عليها يجوز العمل بها، وبذلك استحلت الحرمات وفسدت مناهج الاصلاح وأظلمت النفوس وخبا فيها نور الوحي السماوي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمنهج السلفي للاصلاح والتربية والسلوك والتزكية لا يجعل مثلاً أعلى في هذا إلا رسول الله ﷺ إذ هو أطهر البشر نفساً وأعلاهم مقاماً، وأقومهم خلقاً، وأرشدهم طريقة ومنهجاً، كما قال

ﷺ : « ان أعلمكم واتقاكم بالله أنا » ولذلك يجمل هذا المنهج السلفي سنة الرسول ﷺ وخلقه هي الأساس بعد كلام الله في التزكية والتطهير والاتباع .

وكذلك يجمل سيرة الصحابة الأول ورجال الصدر الأول الذين تمثلوا القرآن والسنة قولاً وعملاً وخلقاً قدوة في التزكية فهم المثل الحية لزكاة النفس وطهارتها ، ولا يقاس بهم من بعدهم أبداً فهم خير القرون وأنفعها للمسلمين ، ويأتي بعدهم التابعون باحسان والعلماء العاملون في كل عصر وفق ذلك المنهج السلفي الذي شرحنا أصوله آنفاً . فالعلماء الذين اتبعوا منهج الكتاب والسنة توحيداً واتباعاً وتزكية ، ولم يقعوا في الشرك الظاهر ، أو التأويل الباطل أو ضلال السلوك وترهات التصوف هم القدوة بعد الصحابة والتابعين .

وبهذا يتحدد المنهج السلفي في التزكية انه امتثال حقيقي لا ظاهري صوري لكلام الله وكلام رسوله ، ونعني بالامتثال الحقيقي الذي يكون باطناً وظاهراً ، حقيقة لا تصنعاً ، وإيماناً لا نفاقاً . وزكاة وطهراً ، لا خبثاً ولؤماً ، وطيبة يستحق المرء معها أن تسلم عليه ملائكة الله على باب الجنة « طبتم فادخلوها خالدين »(١) فنسأل الله أن يجعلنا من اولئك الابرار الصالحين .

---

(١) الزمر : ٧٣

أهداف الدعوة السلفية

ليست الدعوة السلفية كما أسلفنا القول دعوة إلى شعبة من شعب الايمان ولا لقضية واحدة من قضايا الاسلام ، وليست هي دعوة إصلاحية اجتماعية ولا دعوة سياسية حزبية ، وإنما هي دعوة الاسلام . الاسلام بكل ما تعني هـــذه الكلمة من معاني العزة والسيادة . والاصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة . والاسلام دين الله للعالمين فليس هو دين وطن بعينه ولا شعب بالذات وانما هو دين الارض والناس جميعاً ، ولذلك فالدعوة السلفية كذلك ليست دعوة وطن بعينه ، ولا شعب بعينه وانما هي المنهج المنضبط لفهم الاسلام والعمل به كما أسلفنا هذا في تعريف هذه الدعوة .

وقد انبنى على هذه القضية السابقة أن أهداف الدعوة السلفية هي اهداف دعوة الاسلام ، وذلك انهـا ليست حزباً دينياً بمفهوم العصر . ولا حزباً سياسيـــاً . إنها منهج ودعوة وطريق لفهم الاسلام والعمل به ، وها هي اهداف هذه الدعوة التي هي نفسها اهداف الدعوة الاسلامية :

اولاً : ايجـاد المسلم الحقيقي :

جاءت شريعة الاسلام أول ما جاءت لصناعة المسلم ـ ان صح هذا التعبير ـ وهو صحيح لقوله تعالى لموسى « ولتصنع على عيني »

فصناعة الرجال هي مهمة الدعوة الاسلامية، الرجال بمفهوم الرجولة الكامل، والانسان بمفهوم الانسانية الكامل والمرأة المسلمة بالمفهوم الصحيح ايضاً . والمسلم الحق والمسلمة الحق يشترط فيهما هذه الشروط وهي : التوحيد ، والامتثال والتزكية . المسلم الحق هو الذي يشهد لله بالوحدانية ويمتثل أوامره ويبتعد عن نواهيه ما استطاع ويزكي نفسه بهذا الدين ما استطاع . ومناهج هذه التربية هي مناهج الدعوة السلفية التي أسلفنا فيها القول تحت عنوان الاصول العلمية للدعوة السلفية .

واذا قلنا المسلم الحق فانما نعني التفريق بين هذا الغثاء المنسوب للاسلام زوراً وبهتاناً وبين المسلم بمفهومه الصحيح الآنف ، فالذين ينسبون الى الاسلام وهم يمارسون الشرك قولاً واعتقاداً ويبدلون آيات الله ويحرفونها ، ويتحاكمون الى غير شرعه ، ويعادون سنة نبيه ويستهزئون بها ، كل اولئك لا يجوز الحكم لأحد منهم بالاسلام «وقد فصلنا هذا بحمد الله تفصيلاً سهلاً موجزاً في كتابنا الحد الفاصل بين الايمان والكفر» .

والمهمة الأولى للدعوة السلفية هي مهمة التعليم والتربية والصناعة بعد التعريف والبيان بالمفهوم الحقيقي للاسلام .

وهذه مهمة عظيمة لقوله ﷺ «فوالله لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (١) فهداية فرد واحد للاسلام نعمة عظيمة وعمل جليل أياً كان هذا الفرد سيداً أو

---

(١) رواه البخاري .

عبداً، فقيراً أو غنياً، عاجزاً أو قوياً . وحسبنا ان الله سبحانه وتعالى عاتب رسوله ﷺ لأنه انصرف عن عبدالله بن ام مكتوم الاعمى إلى سيد من سادات قريش يدعوه ويلح عليه . منصرفاً عن ذلك الذي جاء يطلب الهداية . قال تعالى « عبس وتولى ان جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يذكى أو يذكر فتنفعه الذكرى» (١) يعني الله عز وجل هذا الأعمى ، ثم قال « أما من استغنى فأنت له تصدى » (١) أي هذا القرشي الذي رأى نفسه مستغنياً عن دعوة الله فتتصدى أنت له . . ؟ قال « وما عليك الا يزكى (١) » أي ما يضيرك لو لم يترك هذا المستكبر المستغني . ثم قال « وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى (١) » أي لا تفعل ، لا تتلهى عن هذا الذي جاءك يخاف الله ويطلب مرضاته .

ويعنينا الآن أن نفهم هذه المهمة الاولى والهدف الأول للدعوة الاسلامية ، هو مقصود الرب جل وعلا وهو بذل الهداية ليهتدي من يوفقهم الله ويشرح صدورهم أياً كان هؤلاء .

ثانياً : المجتمع المسلم الذي تكون كلمة الله فيه هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى :ـ

الهدف الثاني للدعوة السلفية هو إيجاد المجتمع المسلم الذي يقوم بتألف تلك اللبنات التي ربيت على أساس الاسلام عقيدة ومنهجاً . وذلك ان لله أحكاماً في المعاملات والحدود ، والسياسات

(١) سورة عبس

العامة ، والحكم لا يمكن تطبيقها إلا بأن يدين المجتمع بدين الله ، ويذعن لشريعته .

وكذلك لا يجد المسلم بالمفهوم الحقيقي لمعنى الاسلام متنفسه . وراحته وأمنه وطمأنينته إلا في ظل مجتمع مسلم يحكم بشرع الله ويعظم حرماته ، ويحيي شعائره .

ومنذ أن غلب الكفار على أرض الاسلام فمزقوها وأحلوا كفرهم وأنظمتهم وشرائعهم محل شريعة الله ونظامه والمسلمون في جميع أمصارهم يعانون من هذا البلاء ، ويحنون في شوق ولوعة إلى العيش في ظل نظام اسلامي صحيح تشيع فيه المحبة بين الحاكم والمحكوم وتختفي فيه المظالم ويأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ، وتسود فيه المحبة والايثار والاخلاص ، ويرجع به للمسلمين عزهم ومجدهم الغابر ويرتفع به الظلم والحيف والفتنة الواقعة على المسلمين في أغلب البلاد .

ولكن مناهج الدعوات للوصول الى هذه الغاية قد تشعبت وتشتتت وكل منهج في الاصلاح والتربيــة يحتكر الوصول الى الهدف وحده ، غير مقدر للعقبات الماثلة التي وضعت في هذا السبيل ومن هذه العقبات على طريق المثال لا الحصر . تلك الردة الجماعية الهائلة في الشعوب الاسلامية . وذلك بعد الصياغة الرهيبة التي صيغت بها عقول أبناء المسلمين وذلك بالثقافة والقيم المنافية للاسلام ، وقد ساعد على هذه الصياغة وسائل الاعلام الضخمة التي

تملكها أيد غير اسلامية ، ومناهج التعليم التي وضعت بأمر المستعمر وتخطيطه . أقول لم يقدر أصحـــاب مناهج الاصلاح والدعوات الاسلامية ضخامة العبء الواقع في طريق اقامـــة مجتمع اسلامي وتصوروا قيامه بين عشية وضحاها ، وبجهود مائة فرد أو مائتين أو الف أو الفين ، ولم يدروا أن الأمر اصبح أعظم من هـذا إذ يحتاج الى جهاد وصبر طويل . وسنين طويلة في التربية والتعليم ونشر الاسلام الصحيح . والتعاون الـكامل بين جميـع العاملين في حقل الدعوة إلى الله طبقاً للأصول العلمية السلفية السابقة .[...]

ومما يحيرك في أمر تلك المناهج المشار اليها آنفاً أنهم عندما يتخيلون مجتمعاً إسلامياً وحكماً اسلامياً فانهم لا يجعلون الحـكم العثماني مثلاً نموذجاً لها ، ولايتواضعون فيرضون أن يكون على مثال الحـكم العباسي ، ولا يعجبهم أن يكون على طراز أموي يريـدون أن تكون خلافة راشدة وايضاً كحكم الشيخين أبي بكر وعمر . وهذا التصور حسن في ذاته ، ولكن هؤلاء المتشدقين بالحكم الاسلامي الزاعمين الدعوة اليه لا تجـــد في أخـلاقهم واعمالهم وسلوكهم وعلمهم ما يؤهلهم إلى ان يكونوا أفراداً من هذا المجتمع فضلاً عن أن يكونوا مسئولين عن إقامته . فالاثرة وحب النفس ، والشح ، والخوف والاستبداد ، والتعصب للرأي المخالف ، والمجادلة بالباطل كل هذه أمراض بلوناها في كثير من المتشدقـــين . وهي أمراض يسيرة إذا قيست بما هو أعظم منها مما لا يحسن ذكرهـا

في هذه الخلاصة . والمهم ان اولئـــك الحالمين بالحـكم الاسلامي المتشدقين به بعيدون بعد الشرق والمغرب عن أهدافهم التي يدعونها فضلاً عن تعجلهم وجهلهم الفاضح بمجريات الامور من حولهم ولذلك تتبدد طاقتهم، وتذهب جهود العاملين معهم أدراج الرياح .

ومما يجعل تلك المناهج بعيدة كل البعد عن اهدافها عدم وضع اصول محددة لفهم الاسلام والعمل به .

وبذلك يصطدم أفراد الدعوة بالاجتهـاد الفردي الذي لا يحتـكم إلى اصول واحدة ، أو بالواقع المرير الذي تحياه أمة الاسلام فيقع التمزق والضياع ، أو اليأس ثم الانحراف ، وقـــد ظهرت جماعات كثيرة كثر أفرادهـــا ، ولكنها سرعان ما تشتت وتمزقت وحدتها لأن أصول فهم العقيدة والشريعة والعمل بالاسلام لم تكن واضحة محددة .

والمنهـج السلفي يراعي هذا كله فيؤسس بنيانه على اصول ثابتة لفهم الكتاب والسنة وتوحيـد الكلمة والوصول الى الحق . ويربي أفراده تربية سليمة وفق الأصول العلمية السابقة : التوحيد ، الاتباع ، والتزكية ، ويراعى حاضر العالم الاسلامي في الوقت الحاضر ، والعقبات العظيمة الـتي وضعت في سبيل استئناف المسلمين لحيـاة اسلامية كاملة في ظل حكم اسلامي كامل . فيصلح ما استطـاع ، ويوحد جهود العاملين للاسلام ما أمكن ، والملك كله بيـــد الله وحده ، « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك

ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » (آل عمران ٢٦) .

ثالثاً : اقامة الحجة لله

كان من أهداف بعثة الرسل ان ينذروا الكافرين والمعاندين حتى لا يكون لهم عذر عند الله يوم القيامة كما قال تعالى : « إنا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما » (النساء ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥) واتباع الرسل يقومون بهذه المهمة بعد لحوق الرسل بربهم وهي أن يبشروا الناس وينذروهم حتى لا يكون للمعاندين منهم حجة أمام الله يوم القيامة. كما قال سبحانه وتعالى « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » (يوسف ١٠٨). فاتباع الرسول ﷺ هم خلفاءه في مهماته إلا النبوة والرسالة ، فجهاد الكافرين وتنفيذ أحكام الله والدعوة اليه والتبشير والانذار كل هذه من مهمات الرسل واعمالهم وهي واجبة ايضاً في حق اتباعهم والسائرين على منهاجهم .

والمدعو اما أن يستجيب الدعوة فيهتدي فيتحقق بذلك

الهدف الأول من اهداف الدعوة وهو هداية الناس الى الحق ، واما أن يعاند ويكفر فيتحقق بذلك الهدف الثالث للدعوة وهو ما نحن بصدده الآن أي تقوم عليه الحجة وينقطع عذره عند الله تبارك وتعالى ، وفي هذا من الأمر ما فيه لقوله تعالى « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء » (البقرة ٢٧٢) وقوله تعالى « ان عليك إلا البلاغ » (الشورى ٤٨) وقوله تعالى « انما أنت منذر » (الرعد ٢) فعلم من هذا ان الأمر موكول بالدعوة ليس إلا ، وأما الهداية فانها من فعل الله سبحانه وتعالى والله يجريها على يد من شاء من عباده توفيقاً وإحساناً نسأل الله ان يجعلنا ممن يجري الخير على يديه انه هو السميع العليم .

وخلاصة هذا الهدف من أهداف الدعوة هو ان الداعي إلى الله ان لم يتحقق هدفه الأول ويهتدي من يدعوه الى الله تبارك وتعالى فلا يظنن ان عمله قد ذهب سدى بل قد أدى واجبه الحقيقي وهو إقامة الحجة لله ، وقطع عذر هذا المعاند أمام ربه يوم القيامة .

وإقامة الحجة تكون في اصل الاسلام وهو الشهادتين كما تكون في أركانه فمن أقر بالشهادتين وادعى انه ناج يوم القيامة دون الصلاة أقيمت عليه الحجة في ذلك بالآيات والأحاديث وكذلك الشأن في أركان الاسلام بل وفي الواجبات والمحرمات عامة فاقامة الحجة على مسلم معاند — وليس من شأن المسلم أن يعاند — في ترك واجب ، أو فعل حرام واجبة أيضاً ، لأنها من الدعوة الى دين

الله تبارك وتعالى ، وبهذا ينفرد المنهج السلفي ببيانه لاصول الاسلام وفروعه وآدابه ومستحباته ، وبذلك يظل العمل بالاسلام كاملاً على مدار الزمن ، لأن اهمال السنن يؤدي الى اهمال الواجبات واهمال الواجبات يؤدي الى نقض التوحيد وهكذا والمحافظة على شريعة الاسلام كاملة في العلم والتطبيق هو أحد غايات المنهج السلفي لفهم الاسلام والعمل به .

ولذلك فنحن في المنهج السلفي لا نبرم بايضاح سنة مهملة ، ولا ببيان واجب ، لأننا نرى أن كل هذه الفرعيات تلتقي مع الأصل الاصيل وهو ابراز الاسلام دائماً في صورته الكاملة النقية على مدار العصور . وذلك لتبقى شخصية المسلمين واضحة جلية مميزة حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وأصحاب المناهج الاخرى يهتمون بقضايا بعينهـا من الدين ويهملون سائره . بل ويضيقون ببيانه لهم وحثهم عليه وما هذا إلا لجهلهم بحقيقة الدين وذلك ان ترك نصيب وحظ وقسم مما أمر الله به يورث العداوة والبغضاء كما قال تعالى « ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة »(١) وهكذا عاب الله على اليهود ايمانهم ببعض آيات الكتاب وكفرهم بالبعض وما كان كفرهم الا تركهم العمل به ، وهكذا يحل بالمسلمين ان هم نسوا بعض ما وعظهم الله به وذكرهم وبعض ما أوجبه عليهم رسوله ﷺ .

ولذلك فالدعوة السلفية دعوة شمولية لأركان الاسلام ومناهجه جميعاً «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين» البقرة (٢٠٨) فالعمل بجزء من الشريعة وترك جزء آخر من اتباع خطوات الشيطان، الذي يبرر لبعض العاملين في الحقل الاسلامي ترك الواجبات وفعل كثير من المحرمات بدواعي المصلحة المزعومة للدعوة..

والخلاصة ان اقامة الحجة تكون بالبيان الدائم لأصول الاسلام وفروعه هذا البيان الذي لا يترك في الحق لبساً حتى ينقطع العذر ولا يكون لأحد العدول عن فعل الواجب وترك الحرام.

رابعاً: الاعذار الى الله بأداء الأمانة

الدعوة الى الله تبارك وتعالى واجب حتم في الاسلام وأمانة في عنق كل مسلم حمل علماً وأمكنه الله من نشره وابلاغه وذلك لأدلة كثيرة جداً منها قوله تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (البقرة ١١٠) ومعنى الآية ان المسلمين لم يكونوا خير امة إلا بذلك وقوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (آل عمران ١٠٤». ومعنى منكم هنا البدء لا التبعيض أي لتكونوا أمة داعية إلى الخير كما اقول «ليكن منك رجل صالح، أي لتكن انت رجلاً صالحاً». وكذلك قول الرسول

(١) المائدة : ١٤

والتثبت من قضاياها، والتعرف على منهجها، وسيعلمون كما علمنا انها المنهج الوحيد لفهم الاسلام والعمل به، وسيذوقون حلاوة الايمان ولذته لأن ايمانهم سيكون ايمان يقين وعلم لا تقليداً وحمية وجهل، وسيكون اندفاعهم للعمل اندفاع الواثق العالم المطمئن لا اندفاع العاطفة وفورة الحماس الموقوتة . التي سرعان ما تتبدد وتضمحل .

وختاماً نقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك «ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين»[1] .



(١) آل عمران : ١٤٧